

تأملات في حديث المدينة والباب

<"xml encoding="UTF-8?>



قال النبي صلى الله عليه وآلـه : (أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتـ البابـ).

هذا الحديث الشريف من جملة الأحاديث النبوية الكثيرة الصادرة في حق الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويستفاد منه عدة أمورـ:

الأولـ: أنـ النبي صلـى اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ هوـ أـفـضـلـ الـبـشـرـيـةـ جـمـعـاءـ مـنـ جـهـةـ كـوـنـهـ أـعـلـمـ الـجـمـيـعـ بـلـاـ اـسـتـثـنـاءـ، فـهـوـ أـعـلـمـ النـاسـ مـطـلـقـاـ بـمـاـ فـيـهـمـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـيـهـ وـعـلـيـهـمـ صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ.. فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ خـصـهـ عـلـيـهـ الـصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ بـعـلـوـمـ وـمـعـارـفـ وـحـقـائـقـ لـمـ يـخـصـ بـعـضـهـاـ أـحـدـاـ غـيـرـهـ، فـكـلـ عـلـمـ خـرـجـ مـنـ عـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـصـلـ إـلـيـهـ، لـذـلـكـ كـانـ (ـمـدـيـنـةـ الـعـلـمـ)ـ حـيـثـ بـلـغـ مـبـلـغاـ رـفـيـعـاـ مـنـ السـعـةـ فـيـ الـعـلـمـ حـتـىـ أـثـرـ عـنـهـ أـنـهـ قـالـ: (ـأـوـتـيـتـ مـفـاتـيـحـ كـلـ شـيـءـ إـلـاـ الـخـمـسـ {ـإـنـ اللـهـ عـنـدـهـ عـلـمـ السـاعـةـ وـبـيـنـ الـعـيـنـ وـيـعـلـمـ مـاـ فـيـ الـأـرـحـامـ وـمـاـ تـدـرـيـ نـفـسـ مـاـذـاـ تـكـسـبـ عـدـاـ وـمـاـ تـدـرـيـ نـفـسـ بـأـيـ أـرـضـ تـمـوـتـ إـنـ اللـهـ عـلـيـمـ خـبـيـرـ}ـ).

وفي الخبر الصحيح عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أـنـهـ قـالـ: (ـسـئـلـ عـلـيـهـ مـحـمـدـ الصـادـقـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـنـهـ قـالـ: عـلـمـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ فـقـالـ: عـلـمـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ جـمـيـعـ النـبـيـيـنـ، وـعـلـمـ مـاـ كـانـ هـوـ كـائـنـ إـلـىـ قـيـامـ السـاعـةـ، ثـمـ قـالـ: وـالـذـيـ نـفـسـيـ بـيـدـهـ إـنـيـ لـأـعـلـمـ عـلـمـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـعـلـمـ مـاـ كـانـ وـمـاـ هـوـ كـائـنـ فـيـمـاـ بـيـنـ قـيـامـ السـاعـةـ).

ثـانـيـاـ: أـنـ هـذـهـ الـعـلـوـمـ وـالـمـعـارـفـ وـالـحـقـائـقـ وـالـأـمـوـرـ الـتـيـ عـلـمـهـاـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ لـنـبـيـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ عـلـمـهـاـ هـوـ لـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـدـلـالـةـ قـوـلـهـ: (ـوـعـلـيـ بـابـهـ)ـ وـقـوـلـهـ: (ـوـمـنـ أـرـادـ الـمـدـيـنـةـ فـلـيـأـتـ الـبـابـ)ـ، وـالـرـوـاـيـاتـ الـمـأـثـورـةـ عـنـ الـأـئـمـةـ الـطـاهـرـيـنـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ فـيـ أـنـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـرـثـ عـلـمـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ عـلـيـهـ سـعـتـهـ مـسـتـفـيـضـةـ مـنـهـاـ:

عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ قـالـ: (ـعـلـمـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـلـفـ بـابـ يـفـتـحـ كـلـ بـابـ أـلـفـ بـابـ).

وعن محمد بن يزيد المحاربي قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «نحن ورثة الأنبياء» ثم قال: «جلل رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ علىـهـ تـوـبـاـ ثم عـلـمـهـ أـلـفـ كـلـمـةـ كـلـ كـلـمـةـ يـفـتـحـ أـلـفـ كـلـمـةـ»).

ثالثاً: في قوله صلى الله عليه وآلـهـ (ومن أراد المدينة فليأتـ الـبـابـ) يوجـهـ الأـمـمـ وـعـلـىـ نـحـوـ الإـطـلـاقـ بـدـوـنـ قـيـدـ أـوـ شـرـطـ إـلـىـ أـخـذـ مـاـ خـصـ بـهـ مـنـ عـلـوـمـ وـمـعـارـفـ مـنـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ، وـفـيـهـ دـلـالـةـ عـلـىـ عـصـمـةـ الإـلـمـامـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ، لـأـنـ مـنـ جـمـلـةـ هـذـهـ عـلـوـمـ الشـرـيـعـةـ الإـسـلـامـيـةـ وـمـعـارـفـهـ فـلـوـ كـانـ عـلـيـهـ السـلـامـ يـقـعـ فـيـ الـخـطـأـ أـوـ الـاشـتـبـاهـ أـوـ السـهـوـ أـوـ النـسـيـانـ أـوـ الذـنـبـ لـمـ جـعـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ مـسـتـوـدـعـ عـلـمـهـ، لـاحـتـمـالـ أـنـ يـقـعـ فـيـ الـخـطـأـ أـوـ السـهـوـ أـوـ الـاشـتـبـاهـ فـيـ نـقـلـ مـعـارـفـ الشـرـيـعـةـ وـأـحـكـامـهـ لـلـأـمـمـ، أـوـ يـنـسـيـ شـيـئـاـ مـنـ ذـلـكـ أـوـ يـقـتـحـمـ الذـنـبـ وـالـمـعـصـيـةـ بـدـافـعـ الـهـوـىـ وـالـوـسـاـوـسـ الشـيـطـانـيـةـ فـيـعـطـيـ لـلـنـاسـ أـحـكـامـ الشـرـيـعـةـ وـمـعـارـفـهـ عـلـىـ غـيرـ وـجـهـهـ الصـحـيـحـ).

رابعاً: إنـ هـذـاـ الحـدـيـثـ الشـرـيـفـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ هـوـ خـلـيـفـةـ النـبـيـ الـأـكـرـمـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـالـقـائـمـ مـقـامـهـ لـإـدـارـةـ أـمـوـرـ الـأـمـمـ مـنـ بـعـدـهـ فـيـ أـمـوـرـهـ وـشـؤـونـهـ الـدـيـنـيـةـ وـالـدـنـيـوـيـةـ، وـهـذـهـ الدـلـالـةـ تـسـتـفـادـ مـنـ جـهـةـ أـنـ هـذـاـ الحـدـيـثـ يـدـلـ عـلـىـ عـصـمـةـ الإـلـمـامـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ، وـالـمـعـصـومـ هـوـ الـأـحـقـ بـمـنـصـبـ الإـلـمـامـ مـنـ غـيرـهـ بـصـرـيـحـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ وـذـلـكـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: (وـإـذـ ابـنـتـاـ إـبـرـاهـيـمـ رـبـهـ بـكـلـمـاتـ فـأـتـمـهـنـ فـقـالـ إـنـيـ جـاءـلـكـ لـلـنـاسـ إـمـاـمـاـ قـالـ وـمـنـ ذـرـبـيـتـيـ قـالـ لـأـيـنـأـ عـهـدـيـ الـظـالـمـيـنـ)، وـمـنـ جـهـةـ اـخـتـيـارـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـأـنـ جـعـلـهـ مـسـتـوـدـعـ لـعـلـمـهـ دـوـنـ غـيرـهـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ مـمـنـ كـانـوـاـ مـعـهـ، فـلـوـ كـانـ غـيرـهـ أـوـلـىـ مـنـ يـإـمـامـةـ الـأـمـمـ وـخـلـافـةـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ لـكـانـ هـوـ الـأـوـلـىـ بـأـنـ يـخـصـ بـهـذـهـ عـلـوـمـ لـأـنـهـ أـحـوـجـ إـلـيـهـ مـنـ غـيرـهـ، فـلـمـاـ أـنـ خـصـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ بـعـلـوـمـهـ وـمـعـارـفـهـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ عـلـمـنـاـ أـنـهـ هـوـ الـقـائـمـ مـقـامـهـ صـلـوـاتـ اللـهـ وـسـلـامـهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ أـهـلـ بـيـتـهـ الـطـيـبـيـنـ الـطـاهـرـيـنـ.

خامساً: ومن دلـالـاتـ هـذـاـ الحـدـيـثـ الشـرـيـفـ أـيـضاـ أـنـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـفـضـلـ الصـحـابـةـ لـأـقـلـ مـنـ جـهـةـ كـوـنـهـ أـعـلـمـهـمـ، نـعـمـ لـدـيـنـاـ مـنـ الـأـدـلـةـ عـلـىـ أـنـهـ يـأـتـيـ فـيـ مـرـتـبـةـ الـأـفـضـلـيـةـ بـعـدـ النـبـيـ الـمـصـطـفـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ.